لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤ \ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

Paragraph الفَقرَة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٢البقرة:١٨٣-١٨٧.

keywords كَلِمات إِرْشَادِيَّة

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

All"O you believe! the fasting is prescribed for you as it was prescribed for those before you, that you may become pious", "And that you fast, it is good for you; if you only know", "Therefore, everyone who is therein the (Ramadan) **month; he should fast", "Allah desires ease for you and HE desires not hardship for you** (not like people before you used to do)**", "And eat and drink until the white thread** (of light) **appears to you distinct from the black tread** (of darkness) **of the dawn. Then complete fasting till the nightfall".**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

يطن بوذا في مذكراته بالمشقة على نفسه بوصاله الصيام ست سنوات؛ مكتفيا في اليوم ببندقة واحدة أو ورقة نبات.

كان الصيام ممارسة شاقة طلبًا لسكينة النفس بالتأمل وكبح جماح الشهوة والغضب بالتقشف وخرق حجاب الترف، في سفر المزامير يقول داود النبي عليه السلام (١٠٩: ٢٤): ركبتاي ارتعشتا من الصوم؛ ولحمي هزل عن سمن"[٣]، وما زال الصيام Fasting في الهند والصين ملازمًا لجلسات اليوجا Yoga والتأمل والاستبصار Meditation؛ وأثناء فترة الصيام يمتنع النُسَّاك الهندوس Hinduism حتى عن الكلام، والصيام عندهم تدريب للنفس كي تتخلص من تسلط رغبات السوء الجامحة؛ لذا يُعتبر ولادة جديدة للإنسان، وتدعو التعاليم في كتابهم المقدس "فيدا Vida" إلى الصيام؛ ولم يُتَرجم كتابهم المقدس من اللغة السنسكريتية إلا في القرن التاسع عشر، والبوذية Buddhism صنو الهندوسية في التأمل والصيام؛ ورائدها الزاهد بوذا Buddha (٥٦٣-٤٨٣ق.م)، ومن أقواله الحكيمة: "يأتي السَّلام من الداخل؛ فلا تبحث عنه في الخارج"، و"لن تُعاقب بسبب غضبك؛ بل غضبك هو العقاب"، ولكي يستنير وينال الحكمة ويصبح مُعَلِّمًا؛ واصل ست سنوات صائمًا تكفيه في يوم بندقة أو ورقة نبات، وفي مذكراته بيان بالمَشَقة: "بلغ جسمي غاية الهزال والنحول لقلة ما أتناوله من طعام؛ حتى أصبحت أطرافي كعيدان الخيرزان وجذعي كحافر الجاموس"[٤].

[٣] العهد القديم؛ نشر كنيسة الأنبا تكلا همانوت الحبشي بالإسكندرية.

[٤] الشبكة الدولية للمعلومات.

قد يشق بعض النساك في الهند على نفسه مبالغة في إنهاك الجسد لإسكات نزواته فيتخذ أوضاعا صعبة كالتعلق بشجرة أثناء التأمل والصيام ظنا منه أنها تُعين على إشراق الفكر.

والصيام حالة وجدانية ينقطع فيها الإنسان عن المُعتادات اليومية في الطعام والشراب ومقاربة النساء؛ تطهرًا وعبادةً وتدريبًا للنفس على مجابهة نزوات قد تضر، وهو في شريعة الإسلام مدة نهار لا تحد نشاط ولا تضر، والصفاء والوجل والتقوى والوجد ثمرة صيام واستغراق وخشوع في العبادة؛ تُستحضر فيها عظمة الجليل وقدرته فيهتز الوجدان ويقشعر الكيان ويتراجع استيلاء المشاغل والهموم وتطيب النفس ويستشعر الإنسان في معية جَابِلُهُ باللطف والاطمئنان.

وفي سياق بيان فضل الصيام وشيوعه في تاريخ الأمم؛ يقول العلي القدير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتعبير: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ورد مخصصًا بأهل الكتاب في أربعة مواضع: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ ٣آل عمران:١٨٦، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ٤النساء:١٣١، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ٥المائدة:٥، ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ ٥المائدة:٥٧، بينما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ ورد التعبير ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بلا تقييد فدل على الناس كلهم، قال الطبري: "(الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ): الناس كلهم"[٥]، وقال إبراهيم القطان: "الصيام عبادة قديمة جاءت بها الأديان السابقة سماوية سماوية وغيرها، (وثبت صيام) قدماء المصريين.. ومثلهم اليونان والرومان وكان.. في الديانة اليهودية وورد في الأناجيل ولا يزال الوثنيون من الهنود يصومون"[٦]، والمضمون التحريض على الصيام زهدًا وتنسكًا وقربى، فإذا كانت الطوائف الوثنية وأتباع الملل التي أصابها التحريف يصومون؛ فمن باب أولى أن تصوموا أنتم أيها المؤمنون.

[٥] محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى؛ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (١٣ ١٥٥).

[٦] إبراهيم القطان؛ تيسير التفسير، المكتبة الشاملة (١١ ١٠٠).

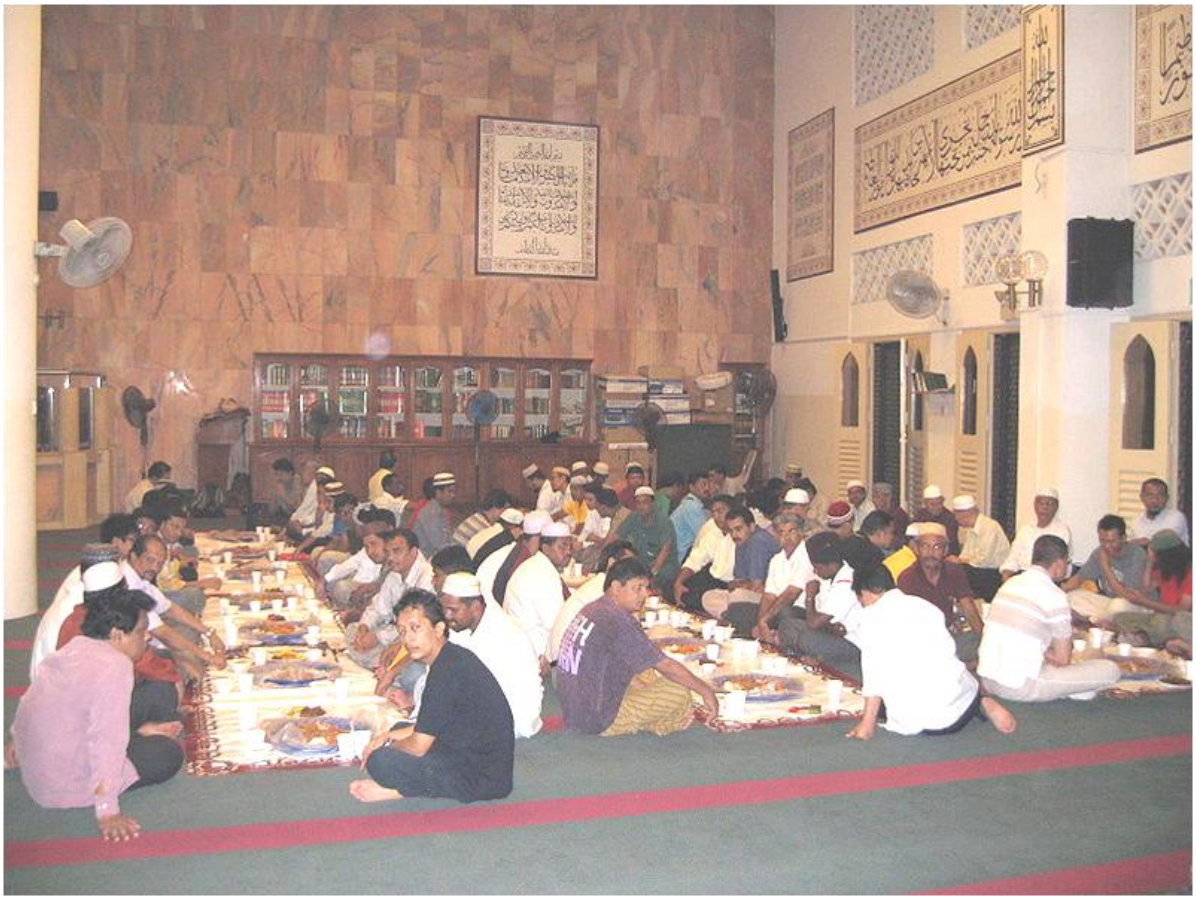

وبخلاف المشقة خلال الصيام وطول مدته يوميا وعدد أيامه ومحرمات الطعام؛ تميز الإسلام بالتخفيف والاعتدال، ومن بلاغة القرآن الكريم في مقام التخفيف؛ التعبير عن صيام رمضان بالتهوين قياسًا على حال الأمم قبل الإسلام، وكأنه يمر كأيام قليلة المدة اليومية للصيام وقليلة العدد، قال ابن عاشور: "الْمُرَادُ بِالْأَيَّامِ (في) قَوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾؛ شَهْرُ رَمَضَانَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْ رَمَضَانَ بِأَيَّامٍ وَهِيَ جَمْعُ قِلَّةٍ وَوَصَفَ بِمَعْدُودَاتٍ وَهِيَ جَمْعُ قِلَّةٍ أَيْضًا تَهْوِينًا لِأَمْرِهِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ، وَالْمَعْدُودَاتُ كِنَايَةٌ عَنِ الْقِلَّةِ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ يُعَدُّ عَدًّا وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: الْكَثِيرُ لَا يُعَدُّ"[٧]، والصيام في غير رمضان مندوب لا فريضة استزادة من فضائله؛ كستة أيام من شوال كل عام وثلاثة كل شهر والاثنين والخميس كل أسبوع، وكذلك صيام يوم عاشوراء كل سنة؛ وعلة اختياره نَصَّ عليها الحديث النبوي: عن عبد الله بن عباس (رضي الله تعالى عنهما) قال: "قدم رسول الله (ﷺ) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجّى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه، فقال: أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"، وفي رواية: "فصامه موسى شكراً فنحن نصومه"، وفي رواية أخرى: "فنحن نصومه تعظيماً له"؛ أخرجه البخاري (٤/ ٢٤٤) ومسلم (١١٣٠) وأبو داود (٢/ ٤٢٦) وابن ماجه (١/ ٥٥٢) والبيهقي (٤/ ٢٨٦).

والإسلام جامع لكل حكمة وكل فضيلة في سنن الأولين: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ٤النساء:٢٦، وصيام شهر كل عام فضيلة عظيمة النفع؛ فكانت فريضة على القادرين، ولم يكن معلومًا زمن تلقي الوحي أن الصيام من سنن الأولين؛ حيث كانت آثارهم غيب دفين، وقد كشفت الآثار والبرديات المُترجمة حديثًا أن قدماء المصرين وغيرهم من أهل الحضارات البائدة كانوا يصومون تَطَهُّرًا وتَنَسُّكًا قبيل أعياد توافق موعد حدث مُهم عندهم، ومن أنماط صيامهم ستة أيام كل عام، وثلاثة كل شهر، والاثنين والخميس كل أسبوع، والحدث الشهري المُمَيَّز في الإسلام هو موعد ظهور البدر؛ وتذكيرًا ببديع صُنع العَلِي القَدِير، ناسبه الاستعداد تَطَهُّرًا وتَنَسُّكًا، ولو كانت حكمة صيام الثلاثة أيام قبيل اكتمال البدر ترجع لمعادلة تأثير القمر على سوائل البدن؛ لاستلزمت صيام ثلاثة أيام بعده.

[٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ١٦١).

والصابئة المندائية Sabians Mandaeans صنو اليهود والنصارى في الصيام، وكتابهم المقدس يدعو للصيام واسمه جنزاربا Ginza Rba أي الكنز العظيم؛ ويعتقدون أنه يجمع صحف آدم إلى تعاليم النبي يحيى، وترجم من المندائية الآرامية عام ١٩٩٧[٨]، ويدعو كتاب الهندوس كذلك للصيام واسمه رج فيدا Rig Veda؛ أي الحكمة والمعرفة؛ وقد ترجم من السنسكريتية في القرن التاسع عشر وروجع حديثًا في ٢٠٠٨، وقد صام فيثاغورث Pythagoras (٥٨٠ – ٥٠٤ ق.م) باعتبار أن الصيام يساعد العمليات الفكرية، ودَوَّنَ أبُقراط Buqrat (٤٦٠ – ٣٧٧ ق.م) طرق الصيام وأشار إلى أهميته العلاجية، ومارس سقراط Socrates (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م) الصيام، وكذلك أفلاطون Plato (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)، وفي عهد البطالسة؛ كان أطباء الإسكندرية ينصحون مرضاهم بالصوم تعجيلاً بالشفاء، ووفق النقوش وأوراق البردي المترجمة حديثا من المصرية القديمة؛ كان النُسَّاك في المعابد يصومون ستة أسابيع في العام ويصوم الشعب أيام الأعياد، وفي القرن الخامس قبل الميلاد؛ سجل المؤرخ الإغريقي هيرودوت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) أن من المصريين القدماء من كان يَصُوم ثلاثة أيام كل شهر؛ تطهيرا للنفس وكبحًا للغضب، وبالإضافة للتطهر بالماء يوميا، كان على المُتَأَهِّل لتلقي علوم المعبد ليصبح كَاهنًا مُرْشِدًا؛ التَنَسُّك والصوم عدة أيام[٩].

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن صوم ثلاثة أيام كل شهر يساعد على البقاء في صحة جيدة، وكلمة صوم العربية تناظرها في المصرية القديمة كلمة صاو أي امتنع أو كبح[١٠]، وكان صيام الكهنة متميزًا عن صيام الشعب، فعلى المتقدم لخدمة المعبد صيام سبعة أيام متتالية قبل أن يُقبل للخدمة، وقد تمتد فترة الصيام إلى اثنين وأربعين يومًا، ويبدأ صيامهم من طلوع الشمس إلى غروبها؛ ويمتنعون عن تناول الطعام وكذلك معاشرة النساء[١١]، وبالإضافة إلى الامتناع عن الطعام يشمل الصيام في البوذية الامتناع عن العمل[١٢]، وإقامة تماثيل آباء الهندوس وسواهم في حالة تأمل وصيام؛ إنما تعكس حال المؤسسين الأوائل للطوائف في بدء سلوكهم قبل أن ينشروا التعاليم ويحولهم الأتباع إلى مقدسين، ومن العادات أن أتباع شيفا يصومون الاثنين وأتباع فشنو يصومون الخميس، وتختلف أساليب الصيام ما بين الامتناع عن الطعام والشراب لمدة ٤٨ ساعة، أو الاكتفاء بوجبة واحدة في اليوم، أو عدم أكل أصناف معينة، ويصوم اليهود عدة أيام في العام؛ أهمها يوم الغفران للتكفير عن الخطية العامة، ويكون الصيام بالامتناع عن الأكل والشرب والجماع وارتداء الأحذية منذ غروب اليوم السابق عليه إلى غروب الشمس، وبعضهم يصوم تطوعًا الخميس والاثنين اعتقاداً بأنَّ موسى عليه السلام صعد جبل سيناء الخميس ونزل منه الاثنين[١٣].

وتشريع الصيام في كل الأديان والفلسفات التي عرفها الإنسان كاليهودية والمسيحية والمجوسية الزرادشتية والبوذية؛ شواهد تاريخية على أن التدين ميل فطري ودافع غريزي، وتؤيدها الأبحاث العلمية الحديثة باكتشاف أن الدافع للتدين والإيمان بوجود خالق خلف كل الوجود والأحداث؛ مقصد مصمم داخليا Built-in Design في مخ كل إنسان.

والإخبار بممارسة الأمم منذ القدم للصيام؛ يُوحي بأن العبادة نزوع فطري في أعماق الإنسان لحفظ سلامته، والتلميح لتعدد فوائد الصيام حتى كان دأب الأمم؛ أعقبه التصريح تأكيدًا: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والخيرية في النظم مطلقة غير مقيدة؛ تفيد تعدد العلل فتشمل تقوية العزيمة والإرادة وصون الإنسان نفسيًا وجسمانيًّا، وفي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ إشارة إلى تجنب مغالاة بعض الأمم جعلت الصيام عسيرًا، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾؛ صريح في النهي عن الوصال وقصر فترة الصيام على نهار؛ وهي فترة مُحتملة ومُفيدة صحيًّا وبلا ضرر، وجاء عصر العلم وتطورت المعارف الطبية وكشفت الآثار عن خباياها وأتيحت كتب الأديان؛ فإذا بكل ما أخبر به القرآن هو الحق!.

---

[٨] كتاب جنزا ربا؛ ترجمه للعربية من المندائية يوسف متى قوزي وصبيح مدلول السهيري (١٩٩٧)؛ نشر مكتبة موسوعة العيون المعرفية لكتب الصابئة المندائيين.

[٩] محمد صقر خفاجة؛ هيرودوت يتحدث عن مصر، مراجعة د. أحمد بدوى، ١٩٦٦.

[١٠] قاموس د. بدوى وكيس، د. علاء الخراعي؛ التطور التاريخي للصيام.

[١١] جيراردى، د. أحمد شلبى، د. نديم السيار.

[١٢] The RIG VEDA translated by Ralph & Griffith in 1889, updated by Peter Myers in 2008.

[١٣] الشبكة الدولية للمعلومات.

ووفق ما قاله د. لورنس ميكيني عميد المؤسسة الأمريكية لعلاج الاضطرابات الذهنية؛ قد بدأت الدراسات النفسية الدينية في ستينيات القرن الماضي، عندما ذهبت مجموعة من الباحثين إلى الهند لدراسة الموجات الكهربية للدماغ (EEG) لممارسين لليوجا، وفي عام ١٩٨٠ أطلق ميكيني على تلك الدراسات مصطلح الدراسات النفسية الدينية Neurotheology؛ ونشر عام ١٩٩٤ كتابه بنفس الاسم، ويقدم هذا العلم تأييده التام للحقيقة الجوهرية في الدين وهي أن الإيمان بالله غريزة ويحافظ على سلامة الإنسان، قال د. ميكيني: "ويكفي أننا قد أوجدنا طرقا عملية لقياس الأنشطة الفكرية؛ ولم يعد الإيمان بالله والمشاعر خلال الممارسات الدينية نشاطا فكريا غير قابل للتجربة والإثبات".

د. أندرو نيوبيرج Andrew Newberg
(Born in 1966)

وفي عام ٢٠٠١ قام د. أندرو نيوبيرج Andrew Newberg وفريقه بجامعة بنسلفانيا بتصوير المخ للمتطوعين أثناء الصيام والتأمل باعتباره ممارسة تعبدية بتقنية خاصة لأشعة إكس Magnetic Resonance Imaging (MRI) والنتيجة وفق ما أعلنها أن المخ مهيأ للميل بقوة نحو التدين "The Brain is hard-wired for Religion"، وأصبح بمقدور التجربة العملية أن تخبرنا كيف جعل الله التدين مطلب طبيعي كالطعام والشراب وبقية الاحتياجات المادية، وقال: "لقد اكتشفت الدراسات النفسية الدينية ثراء الدين بأرقي الأساليب العلمية لبلوغ الإنسان التوازن النفسي"، و"لقد تخيرنا عينة أثناء بلوغ المشاعر العميقة المصاحبة للتعبد قمة التركيز الذهني (تقابل الخشوع في الإسلام)، وباستخدام تقنية خاصة أمكن تحديد مناطق معينة في المخ تختص بالتركيز الفكري يزداد نشاطها أثناء ممارسة تلك الخبرة التأملية، لكن التغير الملحوظ في نشاط المنطقة المختصة بإدراك وجهة أجسامنا بالفراغ كان أكثر إدهاشا لنا، وقد يُفسر نشاط تلك المنطقة لماذا يشعر الذين بلغوا في صلواتهم درجة استغراق عميقة كأنهم قد فقدوا الوزن"، وقد يفسر أيضًا كيف يعمل الخشوع على كبح مشاعر الخوف والقلق والكآبة واليأس ويُريح ويمنح السكينة والاطمئنان.

قال د. بليتريني من جامعة بيزا في إيطاليا: "إن كل شيء نفعله أو نستشعره من نشاط بسيط كحركة إصبع إلى أعمق الانفعالات العاطفية الخبيئة بالنفس أو البادية مثل الغضب والحب؛ يؤثر على مراكز بالمخ فيرسم خريطة مميزة المعالم، ويصاحب كل شعور نموذج محدد يمكن تسجيله وتحليله كالتحاليل الطبية العضوية تماما، وهذا المجال الجديد لاستطلاع دخيلة الإنسان من عواطف ومشاعر وأفكار؛ ومدى تأثره بالاعتقاد الديني ساحر حقا، ويلجه الباحثون اليوم بحذر حريصين على المنهج العلمي في البحث والتحليل كبقية مجالات العلوم التجريبية"[١٤].

[١٤] الشبكة الدولية للمعلومات.

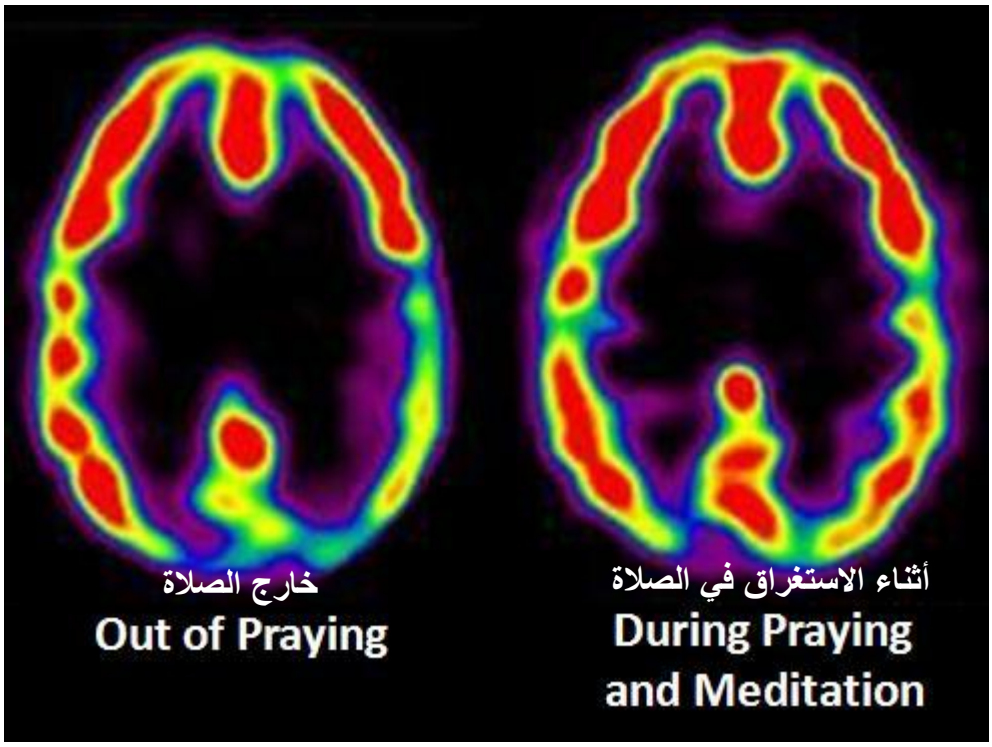

التصوير بالرنين المغناطيسي أثناء الاستغراق في العبادة؛ يكشف تأثر مناطق محددة في المخ.

وفي دراسة علم ١٩٨٧ على ٤١٤ مصاب بالصرع الناتج عن إثارة الفص الصدغي سجلت دوافع ملحة نحو العبادة وشعور بالوجد ونشوة الإيمان، وأكدت النتائج دراسة أخرى عام ١٩٩٩، وفي ١٥ أغسطس ٢٠١١ وجد د. بيرين بجامعة ميتشيجان أثناء دراسة المواظبين على العبادة من المصابين بصدمات الرأس معدل سرعة أعلى في إعادة التأهيل وشفاء العوارض الجسمية والنفسية، وفي تحليل ٤٢ دراسة حديثة وجد د. ماكلوف بجامعة دالاس أن معدل الوفيات لأسباب كأزمات القلب يقل بأعمال البر دوام الاستغراق في العبادة والتسليم بلا جزع لمفاجآت القدر.

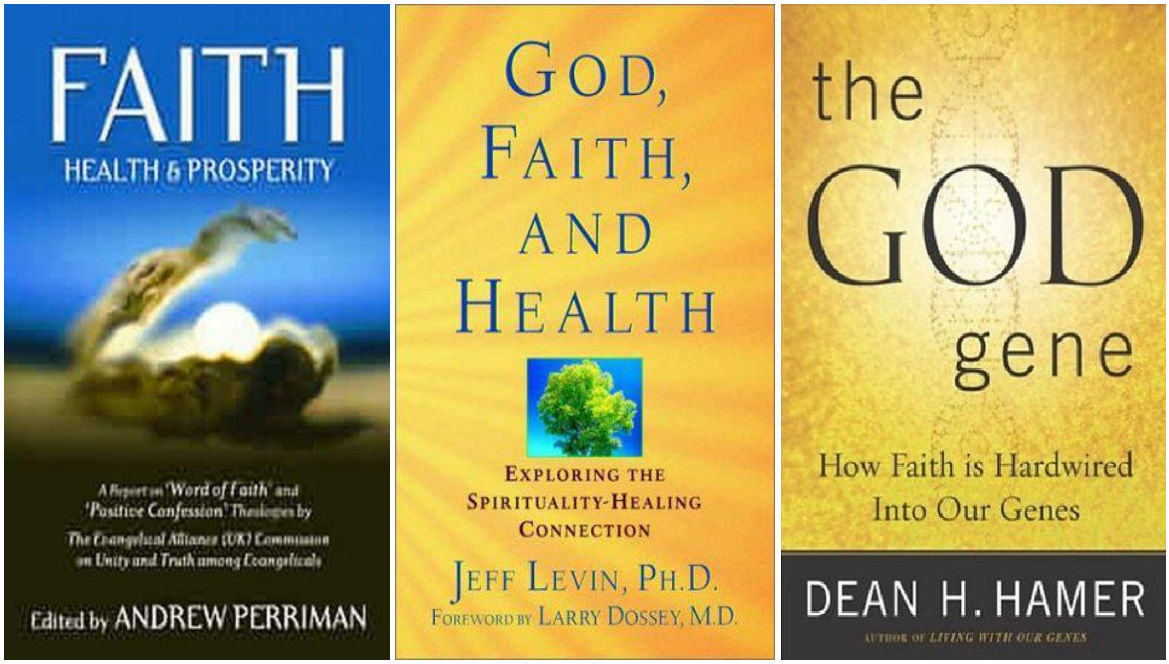

ونشرت حديثا عدة كتب تبين كيف أن الإيمان بالله تعالى فطرة مغروسة في جينات وراثية تؤثر على النفس البشرية؛ وتوظيف آلياتها بالعبادة طريق إلى الصحة والسعادة، منها كتاب "الإيمان بالله مغروس بقوة داخل جيناتنا" للمؤلف ديان همر، وكتاب "الإيمان والصحة" لجيف ليفن ولاري دوسي، وكتاب "الإيمان صحة وفلاح" لأندرو بريمان.

قال د. مايكل ماكلوف من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية: "يتأثر الوجدان النفسي بالعالم الخارجي ويؤثر في الجسد عضويا، ويمثل الإيمان والعبادة صمام أمان لتلك التأثيرات الطبيعية، وقد أفضت دراسته إلى أن الطبيعة البشرية مصممة بحيث تحفظها العبادة في توازن تام وتقيها الاضطراب"، وفي تحليل شمل ٤٢ دراسة ميدانية واسعة؛ وجد د. ماكلوف أن معدل الوفيات يقل بالاستغراق في الصلوات وبقية العبادات، وأن هذا التأثير الإيجابي مستقل عن عوامل أخرى مضرة بالصحة مثل تناول الخمور والتدخين، ولم يفت د. نيوبيرج أن يعلق على تلك النتيجة بقوله: "نحن لا ندري حتى الآن على وجه اليقين كيف يؤدي الإيمان العميق والاستغراق في العبادة إلى الحفاظ على سلامة النفس وصحة البدن ومكافحة المرض وتأخير الموت، ولكن معرفتنا لآليات عمل الجسم خاصة المخ؛ تؤهلنا للولوج لآفاق جديدة من البحث، كي نثبت يوما ما بحياد وجود تأثيرات عضوية للإيمان والعبادة؛ ندرك منها اليوم نقص عدد ضربات القلب وضغط الدم وتغير الهرمونات كماً ونوعاً والميل العصبي لتحقيق حالة من الهدوء والاسترخاء نتيجة الاستغراق، وقد تؤدي تلك العوامل مجتمعة إلى تنشيط جهاز المناعة"[١٥].

ومهمة التجارب في المجال النفسي الديني إذن هي اكتشاف آليات في المخ عند كل إنسان تدعوه للعبادة، وقابلة للتأثر والانفعال بالخشوع في العبادة ومن ثم حفظ وسلامة وصحة النفس والبدن، وهذه الآليات تصبح معدومة القيمة ولا عمل لها إذا لم توظفها العبادة؛ مما يؤكد أن الإيمان بالله مركوز في النفس ويؤيد صدق دعوة وتعاليم المرسلين؛ ويدحض ادعاء المشككين في أن جوهر الدين في الأصل من ابتداع المخلوقين، لكن تجارب نيوبيرج وأمثاله تقول لهم: "إما الرفعة ونيل السعادة والمتعة الحقيقية في العبادة؛ وإما الشقاء والجحيم"، ولو تأمل الباحثون في ذلك المجال العلمي الجديد؛ لوجدوا أن ما توصلوا إليه ليس إلا بعض ذخائر القرآن الكريم بصفته الكتاب الوحيد الجامع للتعاليم الأصلية للرسل الأولين؛ والداعي الوحيد لشريعة عالمية غير قومية تنسجم مع الفطرة السوية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١و٢، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ١٣الرعد:٢٨، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧الإسراء:٨٢.

[١٥] الشبكة الدولية للمعلومات.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ١٠يونس:٥، الحساب الفلكي على ضربين: (أولا) معرفة حقيقة الحركة المجردة للقمر بالنسبة لنجم بعيد ثابت كما يحسبها الفلكي لا كما تظهر للراصد من الأرض وهي تتحرك، ولا دخل لها في ظاهرة تباين أوائل الشهور باختلاف المناطق، (ثانيا) معرفة بداية أوائل الشهور بالنسبة للراصد الأرضي؛ وهي تساعد المعاينة في توقع موعد الرصد؛ لأنها استقراء لتسجيلات مواعيد سابقة تتكرر دوريًا، والأجهزة الحديثة لتحسين الرؤية كالمنظار وتلسكوب المرصد يزيد من نسبة اليقين، والمعاينة تتبع المناطق الجغرافية المتحدة إداريا وسياسيا؛ لأن الهلال إذا ظهر في أي منطقة فقد بدأ الشهر، وإذا كانت الشعوب الإسلامية موحدة إداريا وسياسيا لتوحدت بالمثل كل المناطق الجغرافية في إعلان بدايات الشهور، ولكن الحال في الوضع الراهن أن كل دولة محكومة بالرؤية في ظروفها الجغرافية؛ هذا إذا سلمنا أن رؤية الهلال تواتر ويقين لا توهم أو ادعاء أفراد بدافع منفعة؛ وأن الرؤية لا تتعارض مع موعد بدايات الشهور في السنوات السابقة، ولكن زوال الخلاف خاصة في رمضان وشهر الحج مرهون على الأقل حاليا؛ بتوحد الجهات الإسلامية المسئولة بمختلف البلدان في ترقب إعلان مراكز علمية مؤهلة رؤية الهلال في أي منطقة بالعالم، أو جعل مكة المكرمة مركز الرؤية باعتبارها مهبط الوحي؛ بالتواصل مع المراكز العالمية لرصد الهلال.

وقد يعتقد البعض ان الصيام يضعف من إمداد الخلايا الحية بحاجتها من الطاقة وبذلك تقل إنتاجية الصائم، ولكن المعطيات العلمية الحديثة تؤكد أن ذلك التصور مجرد وهم، فقد تبين ترافق الصيام كما يحدث في شهر رمضان المبارك مع حصول تغيرات هرمونية في جسم الصائم تهدف إلى المحافظة على تزويد خلايا الجسم بحاجتها من الطاقة الحيوية اللازمة للقيام بالوظائف الحيوية والفسيولوجية المختلفة، ويعمل هورمون الأنسولين على خفض الزيادة في سكر الدم (الجلوكوز) عقب الطعام ويقل منسوبه بعد ساعات من تناول وجبة السحور مع استنفاذ كمية السكر الزائدة في الدم وميله نحو الانخفاض، ولكن يبدأ حينئذ هرمون الجلوكاجون بالارتفاع ليضمن المحافظة على منسوب سكر الدم ضمن مستوياته الطبيعية من خلال القيام بعمليات تحلل الجليكوجين المخزن في الكبد والعضلات، وبعد استنفاد الجسم لمخزونه من الجليكوجين يبدأ الجسم بأكسدة الأحماض الدهنية في الشحوم المتراكمة في الأنسجة الدهنية لإنتاج الطاقة بفعل هرموني الجلوكاجون والكورتيزون، وفي المرحلة الثالثة مع استمرار الصيام لفترة طويلة تزيد عن المقرر شرعا والامتناع عن تناول الغذاء لتعويض الطاقة المستهلكة في العمليات الحيوية يزداد اعتماد الجسم على أكسدة الأحماض الدهنية وإنتاج الأجسام الكيتونية كمصدر للطاقة فيؤدي ارتفاع منسوبها في الدم وتراكمها في الجسم إلى حصول تغيرات سلبية على صحة الجسم وحيويته؛ كما يلجأ الجسم إلى تحليل بروتينات العضلات للحصول على الأحماض الأمينية المنتجة للجلوكوز مما يضعف الجسم ويسبب له الوهن والهزال، ولكن تحديد فترة الصيام في رمضان بمدة النهار مع الأمر بتأخير السحور وتعجيل الفطور يمنع دخول الجسم في المرحلة الثالثة من إنتاج الطاقة مع وصال الصيام وتجاوز حده الشرعي في المدة، ويحول دون تطور الأعراض السلبية المتمثلة في زيادة تركيز الأجسام الكيتونية وزيادة حموضة الدم ويحول دون اللجوء لاستخدام العضلات كمصدر للأحماض الأمينية المنتجة للجلوكوز؛ مما يمنع حصول الهزال وضمور العضلات وضعف الجسم، ويعجب الإنسان كيف أن التشريع الإسلامي قائم على العلم بالفطرة السوية وخفايا طبيعة الجسم حيث يعنى بكل خير للمؤمنين ويدفع عنهم كل شر قبل أن يتبين لأحد الحقائق الخفية للتكوين، فقد أمر بالصيام وهو ينشط العمليات الحيوية الداخلية وينظف الجسم من المواد المضرة المتراكمة؛ قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وتحديد المدة يمنع ضرر وصال الصيام؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىَ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمّواْ الصّيَامَ إِلَى اللّيْلِ﴾، وقد أكدت السنة النبوية النهي عن الوصال صراحة في قوله ﷺ: "إياكم والوصال" – قالها ثلاث مرات - قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: "إنكم لستم في ذلك مثلي؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون"، وحدد مدة وصال الصيام لمن أراد بحيث لا تتجاوز نهارا وليلة وهي المدة التي تبدأ بعدها عمليات التخريب في الجسم نتيجة للصيام الطويل كما في قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تواصلوا؛ فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السَّحَر"[١٦].

[١٦] أخرجه البخاري (١٩٦٣) و(١٩٦٧) من طريق ابن الهاد، بهذا الإسناد، وهو في مسند أحمد (١١٠٥٥)، وصحيح ابن حبان (٣٥٧٧).

وفي دراسة علمية بعنوان "التغيرات الحيوية والفسيولوجية خلال الصيام في شهر رمضان"؛ كان ملخصها أن: "أبرز الأسباب التي تجعل من الصيام خلال شهر رمضان وسيلة فعالة للمحافظة على صحة الجسم: (١) أنه يعمل على إراحة أجهزة الجسم المختلفة؛ وخاصة الجهاز العصبي والجهاز الهضمي بعد فترات عمل طويلة، مما يفضي إلى تقويتها وزيادة كفاءتها، وأنه يعمل على إعادة عمليات الأيض والاستقلاب وإرجاعها لمساراتها الطبيعية. (٢) أنه يعد وسيلة فاعلة لتقليل وزن الجسم دون إحداث أي أضرار على صحة الجسم مثل تكون الأجسام الكيتونية، وهو ما يحصل في حالات الصوم الشديد المتبع في علاج أمراض السمنة وبعض الأمراض المرتبطة بالتغذية. (٣) أن التغير في وزن الجسم بعد الصيام يعتمد على ظروف الصيام كدرجة حرارة الجو ومستوى الجهد البدني المبذول وكميات الطاقة المتناولة والمصروفة والسلوك المعيشي للصائم. (٤) أن التغير في وزن الجسم وفي مكونات الدم المختلفة يعتمد أساسا على كمية ونوعية الغذاء المتناول؛ وخاصة فيما يتعلق بالسكريات البسيطة والمعقدة والدهون. (٥) أنه وبالرغم من كل الممارسات الخاطئة الغذائية وغير الغذائية المتبعة خلال الصيام، مثل الإكثار من تناول الطعام والشراب وكثرة النوم وعدم تناول وجبة السحور والاكتفاء بوجبة واحدة، فإن للصيام آثارًا إيجابية كثيرًة على صحة الجسم. (٦) أن الصيام يعد وسيلة فاعلة للتخلص من العادات السلبية؛ التغذوية منها وغير التغذوية، مثل التدخين وتكرار تناول الطعام والشراب والإدمان على تناول المنبهات، ومن ثم التخلص من الكثير من الأمراض التي ترتبط بهذه العادات، ويمكننا أن نستنتج مما سبق أن الصيام أشبه ما يكون بدورة طبية مجانية يتلقاها المسلم كل عام؛ فيعمل على صيانة أجهزة الجسم وترميمها والمحافظة عليها، ويساعد على إعادة عمليات الأيض والتمثيل الغذائي إلى مساراتها الطبيعية، وما الصيام إلا دليل وآية من آيات الله عز وجل الدالة على وحدانيته وقدرته، ودليل على صدق نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم"[١٧].

[١٧] معز الإسلام عزت فارس؛ التغيرات الحيوية والفسيولوجية خلال الصيام في شهر رمضان، قسم التغذية بكلية الصيدلة والعلوم الطبية جامعة البترا؛ ٢٠٠٥.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "قوله عز وجل: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} بمعنى فرض عليكم الصيام، والصيام من كل شيء الإمساك عنه، ومن قوله تعالى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً} أي صمتاً؛ لأنه إمساك عن الكلام..، إلا أن الصيام في الشرع: إنما هو إمساك عن محظورات الصيام في زمانه، فجعل الصيام من أوكد عباداته وألزم فروضه؛ حتى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِندَ اللهِ مَن رِيحِ المِسْكِ)، وإنما اختص الصوم بأنه له؛ وإن كانت كل العبادات له، لأمرين بَايَنَ الصومُ بِهِمَا سائِرَ الْعِبَادَاتِ؛ (أحدهما): أن الصوم منع من مَلاَذِّ النفس وشهواتها؛ ما لا يمنع منه سائر العبادات، و(الثاني): أن الصوم سر بين العبد وربه لا يظهر إلا له؛ فلذلك صار مختصاً به، وما سواه من العبادات ظاهر ربما فعله تصنّعاً ورياء، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره، ثم قال تعالى: {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} وفيه ثلاثة أقاويل: (أحدها): أنهم النصارى؛ وهو قول الشعبي والربيع وأسباط، و(الثاني): أنهم أهل الكتاب؛ وهو قول مجاهد، و(الثالث): أنهم جميع الناس، وهو قول قتادة، واختلفوا في موضع التشبيه بين صومنا وصوم الذين من قبلنا على قولين: (أحدهما): أن التشبيه في حكم الصوم وصفته لا في عدده؛ لأن اليهود يصومون من العتمة إلى العتمة ولا يأكلون بعد النوم شيئاً، وكان المسلمون على ذلك في أول الإسلام لا يأكلون بعد النوم شيئاً.. فأحل الله تعالى لهم الأكل والشرب؛ وهذا قول الربيع بن أنس، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بَيْنَ صَومِنَا وَصَومِ أهلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ)، و(القول الثاني): أن التشبيه في عدد الصوم..، وفي قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.. معناه أن الصوم سبب يؤول بصاحبه إلى تقوى الله لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوة وإذهاب الشره؛ وهو معنى قول الزجاج، قوله عز وجل: {أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} فيها قولان: (أحدهما): أنها أيام شهر رمضان التي أبانها من بعد؛ وهو قول ابن أبي ليلى وجمهور المفسرين، و(الثاني): أنها صيام ثلاثة أيام من كل شهر؛ كانت مفروضة قبل صيام شهر رمضان ثم نسخت به؛ وهو قول ابن عباس وقتادة وعطاء، وهي الأيام البيض من كل شهر..، قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ} يعني مريضاً لا يقدر مع مرضه على الصيام، أو على سفر يشق عليه في سفره الصيام، {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} فيه قولان: (أحدهما): أنه مع وجود السفر يلزمه القضاء سواء صام في سفره أو أفطر؛ وهذا قول داود الظاهري، و(الثاني): أن في الكلام محذوفاً؛ وتقديره: فأفطر فعدة من أيام أخر؛ ولو صام في مرضه وسفره لم يعد لكون الفطر بهما رُخْصَة لا حتماً؛ وهذا قول الشافعي ومالك وأبي حنيفة وجمهور الفقهاء، ثم قال تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}؛ هكذا قرأ أكثر القراء، وقرأ ابن عباس ومجاهد: {وَعَلَى الَّذِينَ لاَ يَطِيقُونَهُ فدية}؛ وتأويلها: وعلى الذين يكلفونه فلا يقدرون على صيامه لعجزهم عنه؛ كالشيخ والشيخة والحامل والمرضع، فدية طعام مسكين ولا قضاء عليهم لعجزهم عنه، وعلى القراءة المشهورة فيها تأويلان: (أحدهما): أنها وردت في أول الإسلام؛ خيّر الله تعالى بها المطيقين للصيام من الناس كلهم بين أن يصوموا ولا يكفروا، وبين أن يفطروا ويكفروا كل يوم بإطعام مسكين؛ ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، وقيل بل نسخ بقوله: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَّكُم}؛ وهذا قول ابن عمر وعكرمة والشعبي والزهري وعلقمة والضحاك، و(الثاني): أن حكمها ثابت وأن معنى قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ}؛ أي كانوا يطيقونه في حال شبابهم، وإذا كبروا عجزوا عن الصوم لكبرهم، أن يفطروا؛ وهذا (قول) سعيد بن المسيب والسدي، ثم قال تعالى: {فَمَنْ تَطَوَّعَ خيراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ}؛ فيه تأويلان: (أحدهما): فمن تطوع بأن زاد على مسكين واحد فهو خير له؛ وهذا قول ابن عباس ومجاهد وطاووس والسدي، و(الثاني): فمن تطوع بأن صام مع الفدية فهو خير له؛ وهذا قول الزهري ورواية ابن جريج عن مجاهد، ثم قال تعالى: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُم}؛ يحتمل تأويلين: (أحدهما): أن الصوم في السفر خير من الفطر فيه والقضاء بعده، و(الثاني): أن الصوم لمطيقه خير وأفضل ثواباً من التكفير لمن أفطر بالعجز، {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}؛ يحتمل وجهين: (أحدهما): إن كنتم تعلمون ما شَرَّعْتُه فيكم وَبَيَّنْتُه من دينكم، و(الثاني): إن كنتم تعلمون فضل أعمالكم وثواب أفعالكم..، قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ} أما الشهر فمأخوذ من الشهرة؛ ومنه قيل قد شهر فلان سيفه إذا أخرجه، وأما رمضان فإن بعض أهل اللغة يزعم أنه سمي بذلك لشدة ما كان يوجد فيه من الحر (رمض اشتد حره)..، و(الثاني): أنه بمعنى أنزل القرآن في فرض صيامه؛ وهو قول مجاهد، قوله تعالى: {هُدًى لِلنَّاسِ} يعني رشاداً..، {وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} أي بينات من الحلال والحرام وفرقان بين الحق والباطل"[١٨].

[١٨] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١\ ٢٣٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Dietetics

أغذية

المَوْضُوع Subject

Fasting

الصيام

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٧الأعراف:٣١.**
- **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ ٩٧القدر:١-٥.**
- **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٤٤الدخان:٣-٦.**
- **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٤النساء:٢٦.**
- **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢٣المؤمنون:١و٢.**
- **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ١٣الرعد:٢٨.**
- **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٧الإسراء:٨٢.**
- **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠يونس:٥.**
- **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٧الإسراء:١٢.**
- **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ٣آل عمران:١٨٦.**
- **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ٤النساء:١٣١.**
- **﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٥المائدة:٥.**
- **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٥المائدة:٥٧.**
- **﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ١٩مريم:٢٦.**
- **﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ**

إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٢البقرة:١٩٦.

- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٤النساء:٩٢.
- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٥المائدة:٨٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ٥المائدة:٩٥.
- ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٥٨المجادلة:٣و٤.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٢البقرة:١٨٣-١٨٧.